

الاتصالات ... وما بعدها

- ٤ -

اين نذهب من هنا؟

بقلم: د. سري نسبية

ومن الخطأ ان نقف امام التاريخ حائرين مستسلمين لقوى غيبية، فمنا من ينتظر ظهور المارد العجيب، ومنا من ينتظر انتخابات الرئاسة في اميركا، ومنا من ينتظر الوفاق النووي بين القوتين العظميين، بل يجب ان نتق بانفسنا كفلسطينيين وان نعمل بالتالي على توسيع دائرة المناورة، ومن البدهي ان يشكل لنا الشارع الاسرائيلي هدفا اعلاميا مباشرا، ويجب علينا اعتبار توجهنا لهذا الشارع استكمالاً للعمل الفلسطيني الشامل، وليس بديلا له، فنجاحنا لن يتحقق بهذا العمل او ذاك لوحده، وانما كحصيلة تراكمية لمجموع النضالات التي خاضها ويخوضها هذا الشعب .

من المسلم به انه كلما زادت ثقتنا بانفسنا، كلما كان هامش المناورة لدينا اوسع، وانه كلما كان هذا الهامش اوسع، كانت قوتنا اكثر اثرا وفعالية .

والثقة بالنفس تعني الثقة ببعضنا البعض، وانعدام هذه الثقة لا يعني فقط فقدان هامش المناورة في السياسة، وانما يعني ايضا اهتزاز ركائز الهوية التي نتميز بها كشعب واحد. ومن هنا فلقد كان اتهام البعض لنا باننا خرقتنا اسس الاجماع الوطني ومقررات المجالس الوطنية من خلال اتصالاتنا مع عميراف، انما يعكس من جهة، امرا خطيرا هو انعدام الثقة بالنفس، ويؤثر سلبيا من جهة ثانية، بركائز وحدة شعبنا واعتزاز بهويته المتميزة، وخاصة في مؤسسات الارض المحتلة .

واقع الامر ان قرارات المجلس الوطني لا تمنع الاتصال مع تكتل «حيروت» وتجييزه مع حزب «راتس» او حزب «شينيوي»، بل هي تسمح بالاتصال مع القوى الاسرائيلية التي تؤيد الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني في نضاله العادل لانهاء الاحتلال. ومن هنا، فليس الانتماء الايديولوجي او الحزبي للطرف الاسرائيلي المعني، هو بالضرورة ودائما، المقياس الاكيد في مثل هذه الاتصالات، بل يؤثر على تحديد مقبوليتها ايضا، موقف هذا الطرف ازاء الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني. فاذا كانت لدى عميراف، وهو ينتمي لـ «حيروت»، مواقف تختلف عن تلك التي يتبناها حزبه رسميا، فانما يجب ان يكون هذا الامر حافزا لنا لتشجيعه وليس ارضية لاتهام من يلتقي به بالخيانة .

هذا هو الحق، ومن ينكره فانما يؤثر خداع النفس، او يقصد الاصطياد في المياه العكرة لتحقيق مآرب في نفسه .

ما يزال البعض هنا، يحلم ويتمنى ويتخيل، وينتظر حدوث المعجزة السحرية، فيتجلى مارد الجماهير العربية من داخل زوبعة صحراوية تهب في المشرق، ويأتي على اسرائيل فيحطمها، وعندئذ يتمكن الشعب الفلسطيني من ان ينطلق في عربة فضائية تخترق حاجز الزمن، فيجد نفسه وقد هبط على ربوع فلسطين قبل خمسين عاما .

والحق هو ان الحلم لا يتحقق الا من خلال التعامل مع الواقع. فبين المنهجية الخيالية التي تتعامل فقط مع الحلم، والمنهجية الاستسلامية التي تتعامل فقط مع الواقع، توجد هنالك السياسة الناجحة التي تتعامل مع الواقع من اجل تحقيق الحلم .

والواقع هو حيروت ورايين وشامير، فاما ان نجد صيغة معهم تمكنا من الخلاص منهم والعيش بجانبهم في دولة نتمكن فيها من ان نرعى شؤون اجيالنا القادمة، واما ان نهيبء انفسنا لصراع لم نخض مثيله سابقا، وهو صراع الوجود كشعب يقع تحت هيمنة سلطة تمتص موارد كافة البلاد، في الوقت الذي تسلب منا فيه حقوقنا .

امام هذه التحديات علينا ان نُسخر كافة طاقاتنا، ولا مانع من ان نستعمل جهودنا السياسية داخل وخارج الارض المحتلة، بحيث يمكننا التأثير ولو قيد انملة على مجرى الاحداث المستقبلية فان علينا واجبا وطنيا ان نبذل كل جهدنا في هذا المجال .